

العتبات النصية بين شفافية المبنى وكثافة المعنى: قراءة سيميائية في ديوان أنا لا أحد لراوية يحياوي.

Paratexts Between Structural Transparency and Semantic Density: A

Semiotic Reading of the Poetry Collection "I am no one" by Raouia

Yahiaoui.

* ط د / شيماء لطرش¹ / د/فريدة بولكعيات²
Latreche Chaima¹ / Boulkaibet Farida²

مخبر التراث الأدبي الرسمي والهامشي.

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر).

University 20 august 1955 of skikda (Algeria)

2 prof.faridabou@gmail.com 1 ch.latreche@univ-skikda.dz

تاريخ الإرسال: 2025/03/15	تاريخ القبول: 2025/03/31	تاريخ النشر: 2025/06/02
---------------------------	--------------------------	-------------------------

ملخص البحث

تعمل هذه الورقة البحثية على تناول العتبات النصية لديوان أنا لا أحد للشاعرة الجزائرية راوية يحياوي وفق دراسة سيميائية، على اعتبار أن هذه العتبات هي نصوص موازية للنص الشعري (المتن) ولا تقل أهمية عنه، خاصة وأنها تمتلك مفاتيح النص الأدبي ولها كل المقدرة على إضاءة مواطن الجمال فيه، مما يشد اهتمام المتلقي ويستدرجه للولوج في عوالمه، بالإضافة إلى أن العتبات الموازية من شأنها توجيه القارئ نحو قراءة سديد وتأويل صحيح للنص الشعري، وهو ما أدى إلى جعل هذه الأخيرة محط اهتمام كل من النقاد والمبدعين على حد سواء، لأن كل إبداع يتجاوزها هو إبداع ناقص وكل قراءة تقوم بتخطيها هي قراءة مشوهة، وهو ما جعلنا نقف عندها بالمقاربة والتحليل متكئين على ما أتاحه المنهج السيميائي لنا من إجراءات تمكنا من رصد الدلالات الخفية والظاهرة لهذه العتبات الكلمات المفتاحية: عتبات، نص موازي، قارئ، متلقي، منهج سيميائي.

Abstract :

This research paper explores the paratexts of the poetry collection I am no one by Algerian poet Raouia Yahiaoui through a semiotic analysis. Paratexts function as parallel texts to the main body (the poetic text) and are of equal significance, as they provide interpretive keys to the literary work, illuminate its aesthetic dimensions, and captivate the reader's interest, drawing them into its world. Furthermore, paratexts guide readers toward a more precise understanding and interpretation of the poetic

* شيماء لطرش: ch.latreche@univ-skikda.dz

text. As a result, they have attracted considerable attention from both critics and writers, since any literary work that neglects them remains incomplete, and any reading that disregards them risks distortion. Accordingly, this study employs a semiotic approach to examine and analyze these paratexts, leveraging the methodological tools of semiotics to uncover both their explicit and implicit meanings.

Keywords: paratexts, semiotic, reader, poetic text, semiotic analysis.



مقدمة:

تعد العتبات النصية أول ما يواجه القارئ عند تفاعله مع أي نص، حيث تؤدي دوراً أساسياً في استثارة انتباهه وتخفيفه على الغوص في عالم النص وفك رموزه. وتتجلى أهمية العتبات في بنيتها الجمالية والشعرية، إذ تمتلك بعداً إشهارياً يضيف على النص قيمة جاذبة، ما يجعلها عنصراً جوهرياً في تشكيل هوية العمل الأدبي. وتتنوع هذه العتبات بين العنوان، الإهداء، التصدير، وغيرها من العناصر التي تسهم في توجيه القارئ نحو تأويل معين وقراءة سليمة تؤدي به إلى المعنى المراد مباشرة، ما يجعلها فضاءً دلالياً يعكس رؤية الكاتب وإبداعه.

انطلاقاً من هذه الأهمية، جاء بحثنا تحت عنوان "العتبات النصية بين شفافية المبنى وكثافة المعنى: قراءة سيميائية في ديوان أنا لا أحد لراوية يحياوي"، حيث سعينا إلى الإجابة عن إشكالات رئيسية، أبرزها مايلي: إلى أي مدى نجحت الشاعرة الجزائرية راوية يحياوي في توظيف العتبات النصية داخل نصها الشعري؟ وماهي مجمل الدلالات التي تميزت بها هذه العتبات؟ وهل خدمت هذه الدلالات المغزى العام للنص؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمدنا على المنهج السيميائي للكشف عن أبعاد هذه الظاهرة وتفسير آلياتها في تشكيل دلالة النص. وبما أن العتبات النصية، خاصة الشعرية منها، تحمل طابعاً رمزياً وتأويلياً، فقد وجدنا أن المنهج السيميائي بآلياته يعد الأنسب لدراستها، نظراً لقدرته على تفكيك العلاقات الدلالية وتحليل بنيتها العميقة. ومن هذا المنطلق، تم تقسيم البحث وفق رؤية منهجية تجمع بين دراسة البنية الظاهرة للعتبات وتفسير مضامينها وهو ما شكل الجانب التطبيقي لهذا البحث، وبين التطرق إلى البعد النظري الذي قامت عليه جزئيات هذا البحث، وهو ما شكل بكل تأكيد الجانب النظري لهذه الدراسة.

أولاً/ مقارنة تأصيلية في الحدود والمفاهيم:

1- مفهوم السيمياء:

حظي البحث في مفهوم السيمياء باهتمام كبير من قبل النقاد في العالم العربي، فراح كل منهم إلى مفهوم يثري المعنى العام ويزيل التعنيم عن جانب من جوانب هذا المجال، وفي هذا الصدد يذهب صلاح فضل إلى أن السيمياء هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة، ويذهب محمد مفتاح إلى أن "السيميائيات قد أثبتت وجودها من خلال تفاعلها المعرفي مع مجموعة من العلوم التي أثرت وتأثرت بها، ويعتبر النص أحد المفاهيم اللسانية والسيميائية

الأساسية"¹ لأن النص كل متمازج من إشارات وشفرات ذات دلالة واسعة دالة تختلف باختلاف الموضوع الذي يتطرق إليه النص، وقد تكون هذه الإشارات لغوية أو غير لغوية.

ومن التعريفات الوافدة من النقاد الغرب الذين وضعوا تعريفات تتناسب وهذا العلم القائم بذاته، نجد التعريف الذي وضعه فرديناند دي سوسير الذي يعد أول من تطرق لهذا العلم يقول مع بداية ظهوره أن: "مهمته هي التعرف على كنه هذه العلامات، وعلى القوانين التي تحكمها. وبما أن هذا العلم لا يوجد بعد، فأنا لا نستطيع التنبؤ لا بجوهره، ولا بالشكل الذي سيتخذه، إننا نسجل فقط حقه في الوجود"² وهذا التصريح أشار دي سوسير إلى ميلاد علم جديد، أسس له ليتمكن من يأتي بعده التنظير له وكذا توضيح معالمة، وبالفعل هذا ما فعله تشارلز سندريرس وكذا بريكل brickell وروبرت شولز الذي رأى أن السمياء "غالبا ما تعرف بأنها دراسة الإشارات... أي الأنظمة التي تمكن الكائنات البشرية من فهم بعض الأحداث، أو الوحدات بوصفها علامات تحمل معنى"³ ويمكن بذلك القول أنها علم العلامات، والإشارات، والرموز وكل المجسّدات التي تحمل معاني لدى الإنسان اتجاه أشياء أو مواضيع مختلفة.

2- مفهوم العتبات:

نقصد بمصطلح العتبات كل التبعيات المصاحبة للنصوص الإبداعية والمحيط بها من "عناوين وأساء المؤلفين والإهداءات، والمقدمات والخاتمات، والفهارس والحواشي..."⁴ التي تسهل على المتلقي تقني الدلالة الحقيقية والكاملة للنص المقابل له، فهي عنصر فعال في جعل القارئ يفتح على ما يقوله النص في مختلف أجزائه المتناثرة، خاصة وأنه لا يكفي بضمين الأفكار داخل معمار متنه وإنما تفيض منه بشكل دائم إلى ما يعرف بالعتبات أو "النص المصاحب أو المناص، النص الموازي- خطاب المقدمة، المكملات..."⁵ وغيرها من التسميات التي ظهرت مع الدراسات الحديثة التي تزايد فيها الاهتمام بدراسة العتبات بطرق مختلفة، بعد أن تم إهمالها بشكل ملحوظ في الدراسات العربية والغربية السابقة، على الرغم من أن هذه الجزئيات تساهم في تماسك النسيج الفكري للنص الذي كما أشرنا سابقا أنه لا يكف عن بسط دلالاته المعمقة خارج سياق متنه، ما جعل الناقد الغربي والعربي يلتفت إلى أهمية جمع هاته الدلالات المتناثرة والإقدام على تنظيمها في إطار نظري أو تطبيقي كما فعل الناقد جيرارد جينيت الذي اعتبر أكثر من تناول هذا المصطلح (تحليلاته واجتهاداته... من خلال أعماله ومؤلفاته لاسميا ككتابه الشهيرين "seuils" عتبات و "palimpsests" "أطراس")⁶ لتصبح فيما بعد هذه الأعمال النقدية حقولا معرفية ينهل منها النقاد والباحثين ليضيئوا عمّة الإشكاليات التي رسمت حول هذه القضية النقدية الجديدة.

ثانيا/ سميائية العتبات النصية في ديوان أنا لا أحد لراوية يحياوي:

1/ سميائية عتبة العنوان:

يعد العنوان إحدى العلامات الجوهرية التي تصاحب النص الأدبي، وتخلق له كيان دلالي في ذهنية القارئ خاصة وأنه "أول عتبة يجد القارئ نفسه مجابها لها"⁷ تقحمة في عملية تواصلية وتداولية معها وتجعله أحد أطرافها التواصلية أي (المعنون له) كما قسمها جيرارد جينيت " المعنون (المرسل / الكاتب) والعنوان (الرسالة) والمعنون له (المرسل إليه / القارئ)"⁸ بحيث تصبح هذه الأطراف عناصر أساسية في العملية التواصلية القائمة بين المتلقي والمنجز الأدبي.

وقد ازداد الاهتمام به في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة على مستوى " وجوهه الشكلية والبنائية والسميائية"⁹ استجابة للتطور الفائق الذي أصاب المشهد النقدي بظهور المناهج الحديثة التي " نهت إلى حيوية العنوان وأهميته وخطورة وجوده على رأس النص، ودرجة تدخله في توجيه فضاء المتن وبناء معنى الخطاب الشعري من خلاله"¹⁰ فالعنوان يأتي بمثابة الاسم للشيء ويتولى مهمة اختزال الأفكار التي تنضوي تحت غلاف المنجز الذي يأتي هذا الأخير على رأسه، فيعرف به ويجعله متداولاً، ولعل هذا ما يجعله ضرورة كتابية لا يمكن للمبدع تجاوزها أو التخلي عنها.

وعلى سبيل المثال عنوان الديوان الذي تتعين علينا دراسته ينبض دلالة، بحيث يختزل جميع معاني القصائد في كلمتين (أنا لا أحد) وبأخذنا هذا الأخير إلى حد نكران الذات لدى الشاعرة راوية يحياوي التي تنكر كل الحقائق المادية المتعلقة بشخصها، من خلال هذا العنوان الذي رأت أن تختصر فيه الفكرة العامة التي يدور حولها الديوان، ألا وهي إلغاء كل الحقائق حتى لو كانت نسبية في الديوان بأكمله.

وقد اختارت في هذا العنوان أن تقابل الأحد بما يلغيها (أنا / لا أحد) ولعل هذا هو حال جل مفردات الديوان التي مثلها العنوان بامتياز، والتي أتت كمتضادات كل كلمة منها تنفي ما قبلها وتشكك في صحته (هل أنت حي بما فيه الكفاية / القريب البعيد / الحياة الموت / الليل النهار / الظلام الليل) ليأتي العنوان كتعبير عن حالة الزوال التي يؤول إليها كل موجود في هذه الحياة مهما كان وجوده حقيقاً، كالأنا الذي سيصبح في النهاية لا أحد ولن يكون له مقابل في عالمنا المادي، وبالتالي اختصر العنوان بهذا معظم الأفكار التي يدور حولها النص والتي يمكن أن يعبر عنها أيضاً قول الشاعرة:

كبرت وكبرت

حتى أصبحت

ذرة غبار¹¹

هذه الأبيات كفيلة بأن تناقش موضوع الزوال والفناء الذي يعد مصير كل إنسان بعد الكبر، فالموت معادلة حلها حقبة الموت والتحول إلى ذرة غبار بعد تحلل الجسد في التراب.

2- سيميائية الإهداء:

يأتي الإهداء كغيره من العتبات المصاحبة للنص الأدبي المستقلة عنه ظاهرياً والمتحممة به مضموناً، ويختلف عنها فقط في أنه يمكن الاستغناء عنه كونه متعلق بالمتلقي بالدرجة الأولى. وهو أحد النصوص الموازية التي لا تخلو من دلالات معقدة تضيء لنا الاتصال الضمني القائم بين المبدع والقارئ لأن الإهداء حسب جيرارد جينيت يأتي في بعض الأحيان على شكل " تقدير من الكاتب وعرفان يحمله للآخرين سواء كانوا أشخاص أو مجموعات (واقعية أو اعتبارية)"¹² قد يحمل لهم الكاتب ودا أو امتناناً يختزله في هذا الأخير.

ولعل هذا ما جعله يسمى إهداء من قبل النقاد طالما أنه سيهدى إلى شخص آخر وقد يأتي هذا الأخير على "صيغتين عامتين : الأولى تكون بصيغة خطاب رسمي مطبوع يتصل بطبعة الكتاب ذاتها، والثانية بصيغة خطاب

ظرفي (مخطوط) موقع بخط المؤلف ويتصل بنسخة واحدة من الكتاب المطبوع¹³ وسواء جاء هذا الإهداء على الشاكلة الأولى أو الثانية فهو متعلق بالدرجة الأولى بالمتلقي الذي يكون فرد أو جماعة. وبالنسبة إلى إهداء ديوان أنا لا أحد لراوية يجاوي فقد جاء مباشرة بعد صفحة الغلاف في صفحة بيضاء فارغة لتتسع إلى حجم معانيه وقد جاء على النحو التالي:

إلى أمي
ثم أمي
ثم
أ
م
ي¹⁴

أي على نحو البيت الشعري المتساقط الذي يتناص مع الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم (أمك ثم أمك ثم أمك) وكما أوصانا بالأم ثلاث مرات متتالية جاء الإهداء على نفس الوزن ونفس الوتيرة، ويتبين لنا هنا أن التناسل أيضا جاء على مستوى المعنى، فالتوصية بالأم وجعلها في المقام الأول والتشديد على ذلك يظهر من خلال الضغط على آخر كلمة إلى درجة انقلات الحروف من بعضها البعض، وبالتالي فك الرابط بينهم من شدة التركيز عليها لإيصال المعنى المراد بها كما هو إلى القارئ، من خلال بعض الكلمات والحروف بشكل إبداعي كفيل بالقيام بمهمة اختزال الشروحات والتفاصيل، وكذا النجاح في تلك المهمة بدون الحاجة إلى صوت يعينها في ذلك ويسهل عليها المهمة.

3- سيميائية الاستهلال:

يُحدد أرسطو في فن الخطابة مفهوم الاستهلال بوصفه بوابة الدخول إلى النص، وإحدى أدوات الإقناع والتأثير على المتلقي، حيث يقول: "الاستهلال هو إذن بدء الكلام، وبنظره في الشعر: المطلع، وفي العزف على الناي: الافتتاحية، فتلك كلها بدايات كأنها تفتح السبيل لما يتلو، والافتتاحية شبيهة بالاستهلال في النوع البرهاني، ذلك أن عازفو الناي إذا عزفوا لحناً جميلاً وضعوه في افتتاح المعزوفة كأنه لحنها"¹⁵. يعكس هذا التعريف البعد الإيقاعي والتمهيدي للاستهلال، إذ يُعد نقطة انطلاق تربط القارئ بالسياق العام للنص، تماماً كما تمهد النغمات الأولى في الموسيقى للجو العام للمقطوعة.

وفي سياق الدراسات النقدية الحديثة، يُدرج جيرار جينيت الاستهلال ضمن مفهوم الpartext، أي العناصر المصاحبة للنص التي تؤدي دوراً تأطيرياً وتوجيهياً للقارئ. وهو يرى أن الاستهلال "هو ذلك المصطلح الأكثر تداولاً واستعمالاً في اللغة الفرنسية واللغات عموماً، كل ذلك الفضاء، من النص الافتتاحي / liminaire (بدئياً préliminaire، أو ختيمياً / postliminaire)"¹⁶ مما يعني أن الاستهلال ليس مجرد مقدمة تقليدية، بل هو إستراتيجية نصية تحدد أفق التلقي وتلعب دوراً تأويلياً مهماً.

تتنوع أشكال الاستهلال، حيث يشمل مصطلحات أخرى مثل: المقدمة / المدخل (introduction) التمهيد (avant-propos)، الديباجة (prologue)، توطئة (avis)، حاشية (note)، خلاصة / إعلان، عرض / تقديم (présentation)، قبل (ال) بدء القول (avant-dire)، مطلع (prélude)، خطاب بدئي (discours)، فاتحة / ديباجة (préambule)، خطبة الكتاب (préliminaire)، خطبة الكتاب (exorde)¹⁷ هذا التعدد لا يعكس فقط تباين الاستخدامات، بل يشير أيضا إلى تعدد الوظائف التي يؤديها الاستهلال في النصوص المختلفة، سواء أكانت أدبية، فلسفية، علمية أو خطابية.

وظائفيا، يؤدي الاستهلال مهمتين رئيسيتين: الأولى تتعلق بجذب انتباه القارئ وشده إلى النص، إذ تشكل البداية القوية مفتاحا لاستمرار التلقي. وفي هذا السياق نجد أن: "للاستهلال وظيفتان: الأولى جلب انتباه القارئ أو السامع أو المشاهد وشده إلى الموضوع، فضياع انتباهه تضيق الغاية"¹⁸، وهو ما يعكس أهمية العبوة الأولى في تشكيل مسار القراءة. أما الوظيفة الثانية فهي: "التلميح بأيسر القول عما يحتويه النص، وهذه الوظيفة ذات شعب عدة، منها أن الاستهلال له موقع يرتبط به مع بقية عناصر النص برابط عضوي، وأن يكون الاستهلال في أحسن المواضع أو أكثرها استثارة، فالمعنى الكلي يأتي من جميع أقسام العمل."¹⁹ بمعنى أن الوظيفة الثانية تأتي بمثابة التلميح إلى محتوى النص بشكل موجز دون كشف كل تفاصيله، إذ يعمل كإطار تأويلي يمهّد لفهم البنية النصية العامة.

بناءً على هذا الطرح الموجز، يمكن القول إن الاستهلال ليس مجرد عنصر شكلي، بل هو عنصر أساسي في هندسة النص، إذ يشكل نقطة تقاطع بين البنية السردية وإستراتيجية التأثير والإقناع. فهو ليس فقط مدخلا إلى النص، بل هو عنصر توجيهي وتأويلي يؤثر على كيفية استقبال القارئ للنص وفهمه.

تستهل الشاعرة راوية يحياوي ديوانها بكلمات قائلها هو أبو العلاء المعري حيث يقول: "ما أقل العالم، وأقلني فيه..."²⁰ وتعد هذه العبارة توجيهيا وتأويليا للمتلقي نحو أفق فلسفي موحد، حيث تتقاطع تجربة الذات عند الشاعرة مع التجربة الذاتية للمعري التي نجمت عنها نظرة في قمة التشاؤم حول الوجود والهوية. وقول المعري هنا يحمل النص بعدا إشكاليا يستدعي التفكير فيه، إذ عرف هذا الأخير بفلسفته المثقلة التي تتعامل مع الحياة بوصفها عبثا لا خلاص منه، وهو ما يتردد صده في عنوان الديوان نفسه، حيث تتخذ الشاعرة موقفا ينكر أي هوية ثابتة عبر قولها "أنا لا أحد"، وفي هذا إشارة إلى انحاء الذات أو تلاشيها في العدم.

يحمل هذا الاستهلال دلالة مزدوجة، فمن جهة، هو إعلان ضمني عن تمرد وإنكار أي هوية سابقة عهدناها لدى أي أحد في مجتمعنا سواء كانت هوية دينية أو وطنية أو غيرها، ومن جهة أخرى، هو غوص في قلق وجودي يجعل الذات الشاعرة في حالة مواجهة مستمرة مع فكرة اللاجودى. وهو ما يتجسد في العنوان الذي يمنح القارئ انطبعا بعدم يقينية الكينونة، وكأن الذات الشاعرة هنا تتبنى موقفا عدما أو تذوب في كيان لا محدد، مما يفتح النصوص على قراءات متعددة تتراوح بين البحث عن المعنى والرغبة في التلاشي.

يخلق هذا التناص مع المعري شبكة من الدلالات التي تربط الماضي بالحاضر، فكما كان المعري يزرع تحت وطأة الحيرة الوجودية في عصره، نجد أن صوت الشاعرة يتردد في السياق ذاته، حيث يتحول العدم إلى هوية مختارة. هذا

الاستهلال لا يعكس مجرد إحالة أدبية، بل يضع النصوص القادمة في سياق أزمة كينونة تتجاوز الشاعر إلى القارئ نفسه ليتشارك في الحيرة ذاتها على امتداد قصائد هذا الديوان، مما يجعله تجربة تساؤلية مفتوحة على احتمالات التأويل. يشير الاستهلال أيضًا إلى بعد زمني معقد، فالماضي الذي يمثله المعري لا يبدو مجرد إرث فكري، بل يتحول إلى حاضر مستمر في النصوص، مما يعكس مأزقًا يتجدد مع كل عصر. بعبارة أخرى، الحيرة الوجودية التي عبر عنها المعري لم تعد مسألة تاريخية بقدر ما هي سؤال دائم يعيد تشكيل نفسه في كل تجربة أدبية تبحث عن معنى للوجود. وهكذا، فإن الاستهلال بقول المعري لا يُقرأ فقط بوصفه نقطة انطلاق لدى الشاعرة، بل كمرآة تعكس طبيعة التجربة الشعرية في الديوان، حيث تصبح اللغة وسيلة لاستكشاف الذات وسط عالم فاقد للمعنى في نظر صاحبة الديوان.

يتضح إذن أن اختيار هذا القول لم يكن عشوائيًا، بل هو بمثابة مفتاح لقراءة الديوان ضمن أفق فلسفي يتراوح بين الحضور والغياب، بين التأكيد على الذات وإنكارها، وبين محاولات فهم العالم والرغبة في الانقصال عنه. هذه الجدلية تجعل الديوان فضاءً للتأمل العميق، حيث يجد القارئ نفسه في مواجهة تساؤلات تتجاوز النصوص لتلامس تجربته الشخصية مع الهوية والوجود.

4- سيميائية المطالع والخواتم:

تعد فواتح النص الشعري وخواتمه إحدى أهم العتبات النصية التي تطرق جيرارد جينيت إلى تعريفها بأنها "النص الافتتاحي liminaire، بدئيًا préliminaire كان أو ختاميًا postliminaire والذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص، لاحقًا به أو سابقًا له"²¹ يساعد في استقراره واستجلاء دلالاته نظرا لوجود نقاط تلامس فعلية بين العتبة التي ينتمي إليها وبين النص لأن جزئها الأساسيين (الفاتحة والخاتمة) "يشتغلان من خلال تطويقهما للنشاط السردى التخيلي داخل النص الأدبي"²² عكس العتبات النصية الأخرى التي قد تلتقي مع هذا الأخير فقط على مستوى المعاني المشتركة بينهم (اتصال ضمني على مستوى المعنى وانقصال ظاهر على مستوى الشكل).

ولا تكفي هاته العتبة فقط بتطويق النص الأدبي بل تمد وصلها إليه بفتح أبواب معانيه، وتعمل جاهدة على فتح الدلالة الموازية لكل مقصد من مقاصده لتجسد بذلك "معبرا لفهم الخطاب بتلثيمه لإخراجه من زيف المنكشف إلى حقيقة المحتجب"²³ فنصل إلى الغاية المرجوة من خلالها وهي بسط المعنى وتسهيل استيعابه لدى المتلقي وبالتالي إتمام بلاغة الخطاب الشعري.

وتكمن أهمية هذه العتبة في فاعليتها في بناء النص الأدبي وتحقيق بلاغته ونسج دلالاته على وجه الإتيان المطلق، مما جعل النقاد يقررون بأن "كل بداية ونهاية نص ما هي إلا مواقع إستراتيجية حيث يتركز المعنى، وحيث يبتدئ الأثر المتوقع"²⁴ لأن المطالع غالبا ما يكون تمهيدا للمغزى الآتي والنهاية تكون خلاصة كل ما تقدم وعصارة الموضوع الممتد على طول القصيدة.

ويتميز ديوان "أنا لا أحد" للشاعرة راوية يحياوي بعمق فلسفي وتساؤلات وجودية تجعل القارئ في حالة تأمل دائم بين البدايات والنهايات. فالقصائد غالبا تنطلق من تساؤلات ثم تتطور لتكشف عن رؤية تحاول فهم العلاقة بين الذات والكون. وتشكل المطالع والخواتم مفتاحا أساسيا لفهم هذا التداخل بين الشك واليقين.

فمنذ البداية، تتسم مطالع قصائد الديوان بنبرة وجودية تتساءل عن طبيعة الذات. في قصيدة "هواجس"، تبدأ الشاعرة بوصف ذاتها:

"ملء المكان... أنا"

بين الطين والريح²⁵

هنا يبدو الصوت الشعري وكأنه يحاول تأكيد وجوده، لكنه سرعان ما يوقع نفسه في النقيض بين عنصرين متناقضين: الطين الذي يرمز إلى الأصل والحلق، والريح التي ترمز إلى التغير والعدم، مما يخلق حالة توتر بين الثبات والفناء. أما في قصيدة "أول الوقت آخر الأبدية" فإن السؤال البسيط في البداية يحمل أبعاداً أعمق:

"كم الساعة الآن؟"²⁶

قد يبدو هذا سؤالاً عادياً للوهلة الأولى، لكنه في سياق الديوان يعكس قلقاً زمنياً دائماً، حيث يتحول الزمن إلى كيان غامض لا يمكن الإمساك به، بل هو في حالة انسياب مستمر، بدايته مبهمه ونهايته غامضة مما يجعلنا نطرح تساؤلات دائمة حولها.

وفي قصيدة "الأسئلة" يأتي المطالع على شكل استعارة عميقة تستفز الفكر:

"هل يعتذر عود الثقاب من شجر الغاب؟"²⁷

هنا تسلط الشاعرة الضوء على العلاقة بين السبب والنتيجة، بين الجاني والمجني عليه، وكأنها تطرح تساؤلاً فلسفياً جديداً حول المسؤولية الأخلاقية والوجودية لتضمن استمرارية شد انتباهنا فتقول. وبالمقابل، تعكس الخواتيم في هذا الديوان إحساساً متزايداً بعدم اليقين، حيث تترك الشاعرة قصائدها غالباً بدون إجابات نهائية وتساؤلات مفتوحة، مما يعزز الطابع التأملي للنصوص. ففي خاتمة قصيدة "هواجس" نجد إعلاناً واضحاً لفقدان المعنى:

"لم تعد الصباحات تعني لي شيئاً"

لأنني أعرف

كيف يمثل الظلام

خيوطه من وهن الضوء"²⁸

هنا، نشهد استسلاماً أمام هيمنة العدم، حيث لم يعد للضوء قدرة على مقاومة الظلام، في صورة تعكس انطفاء الأمل أو التسليم بحتمية الفناء.

أما في قصيدة "أول الوقت آخر الأبدية" تأتي النهاية بنبرة احتجاجية:

"لماذا تنتهي أيها الوقت؟"

ولماذا العجلة؟"²⁹

هذا التساؤل يحمل في طياته رفضاً للمنطق الزمني الذي يحكم العالم، وكأن الشاعرة تتمنى لو أن الزمن يمكنه التوقف، أو على الأقل، أن يكون أكثر إنصافاً في سرعته.

وفي القصيدة المعنونة بـ "الأسئلة" تأتي الخاتمة على شكل حوار رمزي بين البئر والدلو:

"ماذا قال البئر للدلو

عندما تأخر المطر؟

لم يصلني ما أعطيك"³⁰

هذه النهاية تفتح أفقا للتأمل في العلاقة بين العطاء والحرمان، لتعكس فكرة بالغة الأهمية في حياتنا اليومية وهي عدم استمرار أي شيء بشكل مطلق في هذه الحياة فلا العطاء دائم ولا الحرمان أيضا.

يتجلى في الديوان انسجام بين المطالع والخواتيم، حيث تبدأ القصائد بتساؤلات أو تأملات وتختتم بمزيد من الغموض، مما يرسخ البنية الدائرية للنصوص. فالسؤال عن الزمن في البداية يقود إلى الاحتجاج على حتميته في النهاية، والتأكيد على الذات في المطالع ينتهي غالبا بإحساس بالضيق أو الانطفاء.

هذا البناء يعكس فلسفة الشاعرة تجاه الحياة، حيث لا تقدم إجابات بقدر ما تفتح أبوابا للتأمل، وتجعل القارئ شريكا لها في رحلة البحث عن المعنى. الزمن، الفقد، والوجود كلها عناصر تتشابك في قصائدها، لكنها تظل عالقة في فضاء من التساؤل الدائم، وكأن كل قصيدة ليست سوى خطوة في متاهة لا نهاية لها.

خاتمة:

توصلنا في نهاية هذا البحث إلى أن الشاعرة تمتلك أسلوبا متفردا ميز مجموعتها الشعرية، حيث أنها أولت عناية فائقة لاختيار عتبات نصية محفزة، تثير فضول القارئ وتدفعه إلى التفاعل مع النصوص الشعرية بعمق. وتساهم هذه العتبات في توجيه القارئ نحو استكشاف مضامين الديوان، عبر عناصر بصرية ولغوية مدروسة تعزز من جاذبيته الفنية والجمالية.

وقد انتهينا أيضا إلى جملة من النتائج والاستنتاجات التي تسلط الضوء على دور العتبات في توجيه قراءة الديوان وبناء دلالاته وفق رؤية معينة. ففي البداية، بينت الدراسة أن مفهوم السيمياء يشكل إطارا منهجيا فعالا في تحليل العناصر الرمزية والإشارات الدلالية التي تتشكل من خلال العتبات النصية.

وفي ضوء ذلك، تبين أن عتبة العنوان في ديوان أنا لا أحد تُعد مفتاحا تأويليا مهما، فهي لا تقتصر على مجرد تسمية الديوان، بل تمتد لتشكيل بوابة تعكس رؤية الشاعرة لذاتها وعلاقتها بالعالم من حولها، مبرزة إيجازات العزلة والبحث عن الهوية. أما عتبة الاستهلال وعتبات المطالع والخواتيم، فقد لعبت دورا أساسيا من خلال تهيئة المتلقي للدخول في أجواء النص والتفاعل مع مضمونه.

وقد أوضحت الدراسة كذلك أن عتبة الإهداء تحمل بعدا ذاتيا وشعوريا يعكس رؤية الشاعرة لعلاقتها بمتلقيها أو بالأشخاص الذين تهدي إليهم نصوصها، وهو ما يُضفي على الديوان بعدا إنسانيا يعمق ارتباط القارئ بالعمل. وفي السياق نفسه، برزت هذه العتبات كأدوات تواصلية بين الشاعرة والقارئ، إذ تشكل جسورا تفتح باب الحوار والتأويل أمام القراء على اختلاف خلفياتهم.

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن العتبات النصية في ديوان أنا لا أحد تؤدي وظائف جلالية ودلالية لا تقل أهمية عن متن القصائد نفسها. فقد تبين أنها تساهم في صياغة هوية الديوان وتشكيل رؤية القارئ، كما أنها تعزز الجانب التفاعلي بين النص والمتلقي. من هنا، تتأكد أهمية توظيف المناهج السيميائية في دراسة الأعمال الشعرية، لما توفره من

أدوات تحليلية دقيقة تُعين الباحث على اكتشاف ما وراء البنية الظاهرة للنص، وتساعد في تفسير الرموز والإشارات المضمّنة في العتبات وفي جسد القصائد على حدّ سواء.

وبذلك، تُبرز هذه الدراسة الدور الحيوي الذي تؤديه العتبات النصية في إثراء التجربة الشعرية، وإضفاء مزيد من العمق على عملية التلقي. كما تدعو إلى مزيد من البحث في هذا الحقل، من خلال توظيف مناهج نقدية متنوعة، لاستكشاف الآليات التي تتشكل عبرها دلالات النصوص وتحقق في ذهن القارئ، سواء في الشعر أو غيره من الأجناس الأدبية.

هوامش

- 1- محمد مفتاح: النص من القراءة إلى التفسير، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء، المغرب ط1، 2000، ص3.
- 2- سعيد بن كراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط3، 2012، ص67.
- 3- روبرت شولز: السيمياء والتأويل، تر: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1994، ص ص 13-14.
- 4- عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص21.
- 5- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2010، الجزائر، ص223.
- 6- لعموري زاوي شعرية العتبات النصية، دار التنوير، الجزائر، ص84.
- 7- المرجع نفسه: ص122.
- 8- عبد الحق بالعابد: عتبات (جيرارد جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، الجزائر ص72.
- 9- محمد صابر عبيد: سيميائية الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل قراءات في (قصائد من بلاد الترجس) ط1، 2010، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص147.
- 10- المرجع نفسه: ص147.
- 11- رواية بختيار: أنا لا أحد، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2022، ص12.
- 12- عبد الحق بالعابد: عتبات (جيرارد جينيت من النص إلى المناص)، ص93.
- 13- ينظر نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص48.
- 14- الديوان، ص05.
- 15- أرسطو طالسين، تخ: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص130.
- 16- عبد الحق بالعابد: عتبات (جيرارد جينيت من النص إلى المناص)، ص112.
- 17- المرجع نفسه: ص113.
- 18- ياسين النصير: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، 2009، ص23.
- 19- المرجع نفسه: ص24.
- 20- الديوان، ص07.
- 21- عبد الحق بالعابد: عتبات (جيرارد جينيت من النص إلى المناص)، ص112.

- 22- لعموري زاوي شعرية العتبات النصية، ص 157.
- 23- سورية المجادي: 2016/2017، سيميائية الفواتح السردية في الخطاب الشعري العربي المعاصر - صلاح عبد الصبور أنموذجا - أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة وهران - أحمد بن بلة 01-، ص 65.
- 24- عبد الفتاح كليطو: السرد والأنساق الثقافية، تر عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط2، 2001، ص 197.
- 25- الديوان: ص 20.
- 26- المصدر نفسه: ص 27.
- 27- المصدر نفسه: ص 22.
- 28- المصدر نفسه: ص 21.
- 29- المصدر نفسه: ص 29.
- 30- المصدر نفسه: ص 23.

قائمة المراجع:

أولا/ المصادر:

- 1- رواية يحيياوي: أنا لا أحد، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2022.

ثانيا/ المراجع:

- 2- أرسطو طاليس، تحقيق: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979.
- 3- روبرت شولز: السيميائية والتأويل، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1994.
- 4- سعيد بن كراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط3، 2012.
- 5- سورية المجادي: 2016/2017، سيميائية الفواتح السردية في الخطاب الشعري العربي المعاصر - صلاح عبد الصبور أنموذجا، أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة وهران - أحمد بن بلة 01.
- 6- عبد الحق بالعباد: عتبات (جيرارد جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف - الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2008.
- 7- عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص: دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
- 8- عبد الفتاح كليطو: السرد والأنساق الثقافية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط2، 2001.
- 9- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- 10- لعموري زاوي: شعرية العتبات النصية، دار التنوير، الجزائر.

- 11- محمد صابر عبيد: سيميائية الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل: قراءات في (قصائد من بلاد النرجس)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010.
- 12- مفتاح، محمد: النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
- 13- نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.
- 14- ياسين النصير: الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2009.